

تقريب

للاستاذ أنور المعداوي

«الأدباء النفسى» وتطبيقه على الشعراء :

منذ أن تفضلت بالتمهيد على رسالتي الأولى وأنا أرجو الكتابة إليك والثناء عليك ، ولكنى أعتذر من هذه الفترة الطويلة التي انقضت دون أن أكتبك فيها بسبب المشاغل والظروف : أما وقد جمع بيننا الإعجاب وربطت بيننا الودة ، فلا داعى لأن أقول لك إن هذه الودة وذلك الإعجاب يسوغان هذا الاعتذار وبرجوان لديك القبول .

وأشكرك أولاً بعدد ما كتبتته عنى وآمل أن أكون عند حسن ظنك .. أما ردك على مسألة أدب النفس أو أدب التراجم الباقية فقد أعجبت كل الإعجاب بما عرضته من حقائق ، وبالطبع أرجأت الكتابة عن النقد والنقاد لأن من رأيك كما هو من رأيي «الامتناع من المصاحبة والمعاينة بين الناقد والمنقود ، لتكشف الشخصية الإنسانية للدارسين من خلال ثوبها الطبيعي الذي يشف عما تحته بلا تمل ولا تكلف ولا رياء ؛ ذلك لأن البيئة التي نميش فيها والمجتمع الذي نضطرب فيه ، لا يهتمان لنا أن نتحدث عن أنفسنا حديث الصراحة الماهرة التي تمنى إبراز المحاسن والمآثر عنايتها إبراز المساوى والعيوب » .

أريد بعد هذا أن أسجل هنا أن المذهب الجديد الذي أخرجته إلى عالمنا الأدبي في النقد الحديث ، مذهب من الرجاء والقوة يمكن نستحق عليه الثناء والتقدير والتخليد ، ويسرى كثيراً أن ألفاك قويا في الدفاع من مذهبك كل القوة مبدعاً في الذود عنه كل الابداع . ولئن دل هذا على شيء فإنما يدل على قوة الذهن التي أنتجت مثل هذا المذهب ، وبراعة القلم الذي فسر أصوله وقواعده وحل مضمونه ومرامييه . وإنى لأستنتج من ذلك أن حركتنا الأدبية الحديثة بخير ما دامت قد أوجدت لنا مثل هذه الانجازات الفكرية والمذاهب النقدية ، ونحن أحوج ما نكون إلى «الذهبية» السليمة في النقد الأدبي ، لأنها تعصم هذا النقد من «اللخبطة» و«الرخاوة» و«المحموية» و«التضلك»

ولأنها خير ضمان لإيجاد مدارس أدبية في النقد واتجاهاته ومبادئه . إن الميزان في النقد الأدبي يخلفه الناقد نفسه ولا يحيد عنه ، ومن النقد من يتخذ هذا الميزان «كيلاً» ومنهم من يتخذ «ثقلًا» والكيل والثقل أصناف وأنواع ولكلها لا يخرجان عن مبدأ «الميزان» .. ولا أريد أن أتوسع في ميزان «الأداء النفسى» الذي اتخذته معياراً لنقدك وأساساً لحكمك ، ولكن استأدري أهو القلم الذي يدفعنى إلى هذا القول أم هو الإعجاب الذى دعانى إلى التسطير !

ولقد طبقت مذهبك فتبين لنا نجاحه ومقدرته على الصمود والخلود ، بيد أنك وفيت هذا التطبيق على شاعر كبير وفنان معروف هو الأستاذ على محمود طه رحمه الله .. ولكن بقى فريق من الشعراء يستحق أن يظفر منك بمنزل هذا التطبيق ، حتى تظهر القيم الفنية على حقيقتها ويحتل كل شاعر من هؤلاء مكانه المنتظر ! وإذا كنت قد قلت فى كلمة سابقة إن المناسبة وحدها هى التى تدعوك إلى إبداء رأيك فى بعض الناس ، فالتأنيؤ من بأن هذه المناسبات كثيرة وبأنها آتية ما فى ذلك شك ، إلا أن ذلك لا يشغلنا عن الهدف الرئيسى وهو مطالبتك بالانفتاح إلى هذا الفريق من الشعراء .. وعسى أن يكون هناك برنامج لتلك التوفية فى التطبيق ، كما أحدثت فى شعر هذا الشاعر الكبير وفن ذلك الأديب الفنان .

هذا ما عنى لى أن أثبتته هنا من هذه الرسالة .. مع خالص التحية لك وخالص التهنئة للاداء النفسى ، وإلى اللقاء .

أحمد طه السنوسى

الأستاذ الفاضل أحمد طه السنوسى هو صاحب هذه «الافتتاحيات» القيمة التى يكتبها كل أسبوع فى الشئون السياسية والاقتصادية بمجلة الثقافة . ومن المعجيب حقاً أن يشغل الأستاذ السنوسى بأمثال هذه البحوث ، ثم لا يشغل فى الوقت نفسه عن تلك البحوث الأخرى التى تنبت فى حقول الأدب والنقد هنا وهناك . وأعجب من هذا أنه صديق من هؤلاء الأصدقاء الروحانيين الذين لا ألتقى بهم إلا بين السطور والكلمات .. على أى شيء تدل هذه الظاهرة ؟ إنها تدل على أن الحياة الفكرية فى مصر لا تخلو من النماذج النادرة فى الوفاء للخلق والعقل .

ماذا أقول لهذا الصديق الذى أخجل نواضحي بثنائه دون

حدث الذين لا يخشون لومة لائم ولا اتهام منهم ، ولا جنابة جان على حقيقة الطبايع النفسية كما فطرها الله وكما قدر لها أن تكون .. ولكننا بهذه الأوضاع الاجتماعية في الشرق لا نستطيع . وإذا أتيت لنا أن نتحدث إلى الغير عن حياتنا الذاتية بحيوانيتها المشرقة والمظلمة ، فهي الإناحة التي تدفعنا إلى ذكر بعض الحق والتستر على البعض الآخر ، وحياة كهذه يحال بيننا وبين التحدث عنها بكل الحق هي في رأينا حياة لا يطعن إليها الدارسون ! إننا نبني من وراء الدراسة النفسية لحياة أديب من الأدباء أن نضع أيدينا على مفتاح شخصية الإنسانية ، ورب حادث ينافه يتخرج الكاتب من ذكره فيدفع إلى حذفه من تاريخ حياته ؛ رب حادث كهذا يقدم إلينا المفتاح الحقيقي لشخصيته حين يكتب في بضعة أسطر فلا تفتني عنه مئات الحوادث في ألوف من الصفحات . هذا هو بعض ما قلته للاستاذ السنوسي في عمال الرد على رغبته . والحق أننا إذا نظرنا إلى حياة بعض الأدباء والماصرين ، ثم خطر لنا أن نتخير بعض كتاب التراجم الذين يصلحون للتحدث عن هذه الحياة على هدى هذا المنهج الذي أوصناه ، لوجب أن يقع اختيارنا على العقاد ليكتب عن المازني ، وعلى نزيات ليكتب عن طه ، وعلى الخولي ليكتب عن أحمد أمين ، لأن هؤلاء جميعا قد أتيت لهم من الاطلاع على حياة أولئك ما لم يتح لغيرهم أن يطلع عليه .. ولعل تلك الدراسة النفسية التي كتبها عن الشاعر على محمود طه وما سيضاف إليها من فصول لم تنشر ، تقدم الدليل على أن المصاحبة والمناصرة بين الناقد والمفوق أمر لا غنى عنه لكاتب التراجم ودارس الأدب وناقد الفنون !

بعد هذا أعود إلى المحور الرئيسي الذي تدور حوله رسالة الأستاذ السنوسي لأقول له : لقد طالبتني بتطبيق مذهب « الأداء النفسي » على شعراء آخرين غير على محمود طه لتظهر قيمهم الفنية على ضوء هذا التطبيق . فمن هؤلاء الشعراء ؟ إنك يا أخي لم تحدد المصور ولا المواطن ولا الأسماء ، حتى أستطيع أن أتبين الهدف الذي تقصد إليه .. ترى هل تطالبني بتطبيق هذا المذهب على شعراء عصر بأكمله في كل موطن من مواطن الشعر العربي ، أم أن هناك بعض الأسماء المختارة التي ترى أن شعر أصحابها تشع فيه ومضات من هذا الأداء ؟

مها يكن من شيء فقد أخرجت مذهب « الأداء النفسي » لأنهم من طريقه وجهة نظر ذاتية في فهم الشعر وتذوقه ودراسته

معرفة بيننا ولا سابق لقاء ؟ بودي أن أقول له إنني لست عاتبا عليه هذا الذي يمتد منه .. حسينا يا أخي هذا اللقاء الفكري الذي يؤلف بين العقول والقلوب ، ويقم على دعائم الإخلاص المتل العليا صداقة الأفلام !

أما ما جاء برسالة الأستاذ السنوسي من أنه قد أرجأ الكتابة عن النقد والنقاد بسبب هذا الرأي الذي أبدته من قبل واقتنع هو به ، فلمل القراء يذكرون رسالته الأولى إلى حول أدب النفس أو أدب التراجم الذاتية ، يوم أن أعرب عن رغبته في أن يقدم عن كاتب هذه السطور حديثه الثالث من محطة هارفرم للإذاعة العربية ، في سلسلة أحاديثه التي بدأها بكلمة نقدية عن الأستاذ توفيق الحكيم أعقبها بكلمة أخرى عن الدكتور طه حسين .. لقد قلت للاستاذ الفاضل يومئذ وهو يطلب إلى أن أتحدث عن نفسي حديث التأمل الباطني والصراحة المحبة ، لأعيته على أن يطيل الوقوف ويخرج ببعض الزوايا ويحدد بعض الخطوط ؛ قلت له يومئذ في مجال الرد على رغبته الكريمة : « ودراسة الحياة النفسية لأديب من الأدباء تقتضي من الدارسين أن يتصلوا اتصالا مباشرا بهذه الحياة بنية المراقبة والملاحظة والتسجيل .. وإذن فلا مناص من المصاحبة والمناصرة بين الناقد والمفوق لتتكشف الشخصية الإنسانية للدارسين من خلال نوبها الطبيعي الذي يشق عما تحته بلا تمل ولا تكلف ولا رياء . ذلك لأن البيئة التي نعيش فيها والمجتمع الذي نضطرب فيه ، لا يهيئان لنا أن نتحدث عن أنفسنا حديث الصراحة السافرة التي تعني بإبراز المحاسن والمآثر عنايتها بإبراز المساويء والميوب .. وليس من شك في أن الأستاذ السنوسي يلتمس لنا بعض العذر إذا قلنا له إن الحديث عن النفس شيء عسير ، ولا تقول شيء بفيض كما يحلو لبعض التجربين بالتواضع أن يصفوه ! عسير لأن المجتمع الذي نتنفس في رحابه سيهمنا إذا نحن أنصفنا أنفسنا فذكرنا منها الجانب المضيء ، وسيهمنا صرة أخرى إذا ما عرضناها في صورتها الحقيقية وهي في كنف الظلام ..

نحن إذن معشر الأدباء منهمون في كلا الحالين ، ولكن الأمر يختلف كل الاختلاف إذا ما كتب منا الآخرون لأنهم في نظر المجتمع قضاء محايدون .. هذا إذا قدر لهم أن يطلعوا على ما خفي وما ظهر في حياة المتفردين من شتى الليول والنزعات ! لو كنا في بيئة غير البيئة ومجتمع غير المجتمع لتحدثنا عن أنفسنا

ترى هل يوافقني الأديب العراقي الفاضل بعد هذا على أن عتابه كان في غير موضعه ؟ لقد احتكم إلى في هذه الخصومة وكذلك احتكت إلى « الأديب » على لسان أحد الأصدقاء .. ولقد قلت رأيي هنا وهناك وبقي حكم القراء .

رفاع عن السريالزم :

بين يدي رسالة ناثرة من الأديب المصري مختار المطار « دبلوم الفنون الجميلة العليا وحرر بمجلة القصة » يهاجمني فيها هجوما « عنيفا » لأنني قلت عن المذهب السريالي في الرسم ما يجب أن يقال ، ولأنه من أنصار هذا المذهب ومن دعاة في مصر .. لا بأس من أن يدافع الأديب المطار عن مذهب يؤمن به ، ولكنه يجترى كثيرا على الحق حين يقول لي : « مالك أنت والسير يالزم ؟ إنه مذهب خاص بالرسم والرسامين لا يفهمه غيرهم وليس لكل إنسان أن يهاجمه إذا كان قد استهمى عليه فهمه ، حتى ولو كان أديبا كبيرا مثلك » .

أؤكد للأديب الناثر أنني أستطيع أن أتحدث عن المذاهب الفنية في الرسم خيرا عما أتحدث عن المذاهب النقدية في الأدب ، وأنني أستطيع أن أحاضر عن السير يالزم ويكون هو في صفوف المستمعين .. هذه حقيقة لا يعلمها لأنه لا يعرف شيئا عن كاتب هذه السطور في ثقافته الفنية !

وبجترى مرة أخرى على الحق حين يقول لي : « وأحب أن أسمح لك معلوماتك عن الرسام السريالي « بيكاسو » .. لقد زعمت في مقالك من الفن والقيود أنه رسام فرنسي والواقع أنه أسباني ، وتلك حقيقة لا يجملها غير المبتدئين في الفن » .. أنا مع الأديب المطار في أن المبتدئين في الفن يملكون هذه الحقيقة ولو لم يكن هو واحدا من هؤلاء المبتدئين لما وقعت ثقافته « الواسعة » عند هذه الحقيقة الصغيرة . إن « بيكاسو » يابني أسباني المولد ولكنه فرنسي النشأة ، أعني أنه نجس بالجنسية الفرنسية منذ أهد بسيد ، وأن مذهبه السريالي في الرسم قد ولد في مهد فرنسي ودرج فوق أرض فرنسية وانتسب إلى فرنسا حين ينتسب كل فن من الفنون إلى وطن من الأوطان .. أعني مرة أخرى أن أسبانيا اليوم لا تعتبره واحدا من

على أسس جديدة غير تلك التي ألفها الناس ، وإذا كنت قد طبقت على شاعر واحد فلأنني أدمن بأن هذا الشاعر هو من خير النماذج الفنية التي تمثل هذا المذهب في أفق الشعر العربي الحديث وما عنت بقصر التطبيق عليه ، ولإنما عنت بأن أقدم دراسة نقدية للشعر كما أفهمه وأندوقه على أن يكون هذا النقد مقترنا بالثال !

عتاب في غير موضعه :

طالم القراء في العدد الماضي من الرسالة كلمة للقصاص العراقي الفاضل كارنيك جورج ، في الرد على ما كتبه أديب لبناني صديق دقاغا عن مجلة الأديب . أما هذه الكلمة فقد استهأها الأستاذ كارنيك بشيء من العتاب لأنني لم أذكر اسم الكاتب اللبناني في ختام دفاعه ، متخيلا أنني فعلت ذلك بدافع الصداقة .. أود أن أقول له إن هذا العتاب في غير موضعه ، لأن الصداقة لا تدخل لها فيما حدث من قريب ولا من بعيد ! لقد طلب إلى الأديب اللبناني الصديق ألا أذكر اسمه وقد فعلت ، لأنني لا أحب أن أعترض طريق رغبة من الرغبات سواء كانت لصديق أم غير صديق . ولو أنني كنت متأثرا بدوافع الصداقة لاسمحت للقصاص العراقي بأن يقول عن صديقي إن دفاعه كان يحوي « أوضح » الاتهامات !

إن منهجي الذي أسير عليه هو أن أتبع لكل طرف من أطراف هذه الخصومة أن يقول ما يشاء ، ولهذا فسجت المجال لكثير من المبارات القاسية التي أفرق فيها الدفاع خاصة وأسرف فيها الاتهام بوجه أخص . ولا يهمني من وراء هذه الحرية المتاحة للجانبين إلا أن يقارن الناس بين حجة وحجة ويوازنوا بين دليل ودليل ، وهذا هو الطريق الوحيد الذي يسلكه السالكون ليصلوا إلى الحقيقة في وضوح النهار ! وإذا كان الأستاذ كارنيك يأخذ على أنني ملت إلى تصديق الأديب اللبناني فيما رمى به إنتاجه القصص من الضعف والركاكة ، فأنني أقول له إنه لم يقرأ كلمتي بمتابعة ، لأن التصديق في تلك الكلمة لم يكن منصبا إلا على جانب واحد ، هو جانب الإشارة إلى ما يلقاه صاحب « الأديب » من ضيق مادي في سبيل مجلته . وما عدا ذلك من أمور فقد تركته إلى القراء ، لأنه ليس من عادتي أن أوافق إنسانا على رأيه الخاص في كتاب من الكتب دون أن أقرأ هذا الكتاب ، ولو كان صاحب الرأي يحتل مكانه « سانت ييف » في النقد الأدبي !